الأستاذة: سميرة بوجرة

المحاضرة رقم 04

التشبيـــــــــه

1. تعريفه:

لغة: هو التمثيل، يقال فلان شبيه بفلان إذ فيه أوصاف تشابه أوصافه.

اصطلاحا: التشبيه بيان أنّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر ـ بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة. يعرفه الخطيب القزويني: "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى". فالتشبيه هو التقريب بين الطرفين والمقارنة بينهما لاشتراكهما في معنى من المعاني أو صفة من الصفات أو في حال وطريقة.

2. أركان التشبيه أربعة، هي:

المشبه، والمشبه به، ويسميان طرفي التشبيه، وهما الركنان الأساسيان في التشبيه، ولا يجوز حذف أحدما لأن التشبيه يقوم عليهما، ويكون الطرفان باعتبار حسيتهما أو عقليتهما، إما حسيين او عقليين أو مختلفين، أي تشبيه حسي بحسي، أو تشبيه عقلي بعقلي، أو حسي بعقلي أو عقلي بحسي: أمثلة (المرأة كالوردة)، (العلم حياة)، (الغيث رحمة)، (الوقت كالسيف).

أداة التشبيه، وهي التي يستدل بها على مماثلة المشبه للمشبه به واشتراكهما في الصفة وهي أنواع، فقد تكون حرفا أو اسما أو فعلا.

وجه الشبه، وهو الصفة المشتركة بين طرفي التشبيه وشرطه أن يكون أقوى في المشبه به منه في المشبه، فإذا قلنا الأبوان كالينبوع في العطاء فإننا ندرك دون شك أن صفة العطاء في "الينبوع" _الذي هو المشبه به" أقوى منها وأظهر في كلمة "الأبوين" _التي هي المشبه_.

ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه.

3. أقسامه: يقسم التشبيه بحسب أركانه إلى:

أولا بحسب الأداة:

أ. التشبيه المرسل: ما ذكرت فيه الأداة صراحة، مثل:

أنا كالماء إنْ رضيت صفاءً وإذا سخطت كنت لهيبا

قوله تعالى: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) الرحمان (24)

وقوله تعالى: "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" (الصافات) (65).

ب. التشبيه المؤكد: ما حذفت منه الأداة، المستعملين من الأداة وحذف الأداة يجعل التشبيه أكثر بلاغة، مثل:

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا

وقوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) النمل (88) أي أن الجبال ترى يوم ينفخ في الصور تمر كمر السحاب، أي تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح.

وقولنا: "كان أخي شجرا لا يخلف ثمره وبحرا لا يخاف كدره" فالأصل في هذا التشبيه: كان أخي كالشجر الذي يؤتى أكله في حينه وكالبحر الذي لا تؤثر فيه المكدرات لسعة حله.

ثانيا بحسب وجه الشبه: ينقسم التشبيه تبعا لوجه الشبه إلى:

أ. التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه ولم يصرح به، أي عدم تحديد الصفة المشتركة بين طرفي التشبيه، وقد يكون لوضوحه، وقد يكون من أجل إثارة ذهن المتلقي لإعمال فكره وجعل الصورة أعمق وأكثر تأثيرا. من أمثلة التشبيه المجمل:

وكأنّ الشمس المنيرة دينار جلته حدائد الضّرّاب

وجه الشبه هو الاصفرار والبريق لكنه محذوف

وقوله تعالى: {فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} الحاقة (الآية 07)

ب. التشبيه المفصل: هو ما صرح فيه بوجه الشبه وطريقته أن يؤتى به وفق صورتين إما أن يكون مجرورا بفي، أو منصوبا على التمييز. مثال بالجر بفي:

" ثمّ قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة" (البقرة:74). وقول الشاعر:

كأنّما المِرّيخُ والمشتري قدّامَهُ في شامخ الرفعَه

منصرفٌ بالليل عن دَعوَةٍ قد أسرجُوا قُدّامَهُ شمعه

ومثال النصب قول الشاعر:

سرنا في ليل بهيم كأنّه البحر ظلاما وإرهابا

ثالثا التشبيه البليغ: هو تشبيه حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، وأطلقت عليه هذه التسمية لأن المشبه في هذا النوع يرتفع إلى درجة المشبه به وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه، حيث يتوهم المتلقي أن لا فرق بين الطرفين. منه قول المتنبي:

أين أزمعت أيهذا الهمام ... نحن نبت الرّبا وأنت الغمام

وقوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) (النبأ: 6، 7).

مثل:

أنت شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

رابعا التشبيه التمثيلي: هو ما كان وجه الشبه غير مفرد بل صورة ينتزعها العقل من متعدد أي أمرين أو أكثر بواسطة التأويل. مثل قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ" (البقرة: 261).

مثال: وكأن الهلال نونُ لجين غرقت في صحيفة زرقاء

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ النور 39.

خامسا التشبيه الضمني: هو تشبيه غير مصرح به في صورة من صوره المعروفة، أي لا يوضع المشبه والمشبه به في صورة التشبيه المعهودة، بل يلمحان في التركيب ويستنتجان من السياق، يجنح صاحبه إلى الابتكار والرغبة في إخفائه، وإقامة الدليل على الحكم الذي أسنده إلى المشبه مثل قول ابن الرومي:

قَد يَشيبُ الفَتى وَلَيسَ عَجيباً أَن يُرى النَورُ في القَضيبِ الرَطيبِ

فهو لم يأت بشبيه صريح وإنما لمح إلى أن الفتى حين يشيب كالغصن حين يكسوه الزهر الأبيض أتى بالتشبيه ضمنا ومن أمثلته قول المتنبي:

مثال: وأصبح شعري منهما في مكانه وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

مَن يَهُن يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

فإنْ تفُقْ الأنام وأنت منهم فإن المِسك بعض دم الغز

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

أما التشبيه في القرآن الكريم ففيه اختلاف بين الدارسين حول وجوده من عدمه.

سادسا التشبيه المقلوب: هو تشبيه معكوس يصير فيه المشبّه مشبّها به بادّعاء أنّ وجه الشّبه فيه أقوى. **و**يكون بقلب الحقائق أي هو قلب المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، الأمر الذي يحدث قلب طرفي التشبيه مما يترتب عليه مبالغة في وصف المشبه مثل قولك: كأن صفاء الماء سريرتك. ومثله قول الشاعر:

وبدا الصّباح كأنّ غرّته ... وجه الخليفة حين يمتدح

فالمشبه: غرّة الصّباح وتباشيره. والمشبّه به: وجه الخليفة. فالشاعر شبّه تباشير الصّباح في ضيائها بوجه الخليفة عندما يسمع المديح. وقد خرج الشاعر على المألوف في تشبيهه لأنّ المألوف والمتداول أن يشبّه وجه الخليفة بتباشير الصّباح ولكنّ الشاعر عكس الآية بهدف الإغراب والمبالغة.

وقال بشّار (البسيط):

وذات دلّ كأنّ البدر صورتها باتت تغنّي عميد القلب سكرانا

المشبّه به: المرأة الحبيبة المدلّلة، والمشبّه: البدر. فالشاعر كسر المألوف وخلخل العلاقة بين المشبّه والمشبّه به، فقلب المعادلة وصدم القارئ لأنّه خرج على المألوف الذي استنفدت طاقاته الإيحائية، فخرّب العلاقة بين المشبّه والمشبّه به ليأتي بجديد مبالغ فيه.

4. أغراضه: نذكر منها:

-بيان حال المشبّه: وذلك حينما يكون المش به غير معروف الصفة قبل التشبيه، فيفيده التشبيه الوصف. ومن أمثلة ذلك القول الشائع:

المغرور كالخفاش يتأذى من الضوء.

فالمشبه كما ترى هو المغرور والمشبه به هو الخفاش في تأذيه من النور وعدم احتماله للضوء وبما أن المشبه مجهول الحال حيث يمكن أن ننعته بأكثر من صفة والمتكلم إنما قصد صفة محددة فيه (تأذيه من كلمة الحق) شبهه بالخفاش المتصف بالصفة التي عناها لبيان حاله.

-بيان مقدار حال المشبه: أي مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان؛ وذلك إذا كان المش به معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية ثم يأتي التشبيه لبيان مقدار هذه الصفة نحو قول الشاعر:

كأن سهيلا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

فالمتلقي يدرك قبل التشبيه أن سهيلا نجم مضيء لكن هذا التشبيه أفاد تبيان مقدار هذه الإضاءة بالنسبة إلى النجوم الأخرى ولما كانت هذه الصفة فيه أقوى منها في بقية النجوم كانت حاله كحال الإمام يتقدم المأمومين في الصلاة فيتميز عنهم ويسبقهم في الفضل.

-تأكيد المشبّه وتقريره في الذهن: يغلب في هذا الغرض تشبيه الأمور المعنوية لصعوبة إدراكها وتصورها بأمور حسية ألفها المتلقي تقريبا للصورة؛ مما يعمل على تمكين حال المش به في الذهن المتلقي وتقوية شأنه لديه لأن النفس تميل بطبيعتها إلى الأشهر المعروف

كقولك: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر. فكأن المتكلم شعر بأن ما أسنده إلى المشبه يحتاج إلى الإيضاح والتأكيد فأتى له بصورة تسنده وتدعمه وكقول المتنبي المشهور:

إن القلوب إذا تنافر ودّها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

فقد عبر الشاعر في هذا البيت عن قلوب المتحابين التي يستحيل أن تعود إلى سابق عهدها من الصفاء والود الخالص إذا ما تنافرت وحدث ما يعكّر صفوها فالأثر باق لا محالة، وليثبّت هذه الحالة في نفس المتلقي أبرزها بشكل أقوى وأظهر بتشبيهها بالزجاجة في حال انكسارها حيث يستحيل جبر كسرها دون ملاحظة آثاره.

-تزيين المشبّه: ويقصد به تحسين المش به والترغيب فيه عن طريق تشبيهه بشيء حسن الصورة أو المعنى ذلك أنه من المع روف أن المتقاربين لهما نفس الحكم. كقول المعري واصفا الشيب:

خبريني ماذا كرهت من الشيـ ب لا علم لي بذنب المشيب

أضياء النهار، أم وضح اللؤلـ ؤ، أم كونه كثغر الحبيب

عمل الشاعر في هذا البيت على تجميل الشيب للمتلقي وتحبيبه إليه لما هو معلوم من نفور النفس منه واستهجانها إياه، ولمّا كان موطن العيب في الشيب يكمن في بياضه فإنه عمد إلى تشبيهه بأشياء يضرب بها المثل في الجمال لذات الصفة وهي على التوالي: ضياء النهار وبياض اللؤلؤ وبياض أسنان الحبيب ولا شك أن استحسان النفس لهذه المشبهات بها من شأنه أن يؤدي إلى استحسان المشبه بفضل المماثلة.

- **تقبيح المشبّه:** وهو يقابل ما سبقه من غرض حيث يعمل المتكلم على تشويه المشبه وإبرازه في أقبح صورة و ذلك إذا كان المش به قبيحا قبحا حقيقيا أو اعتباريا لتنفير النفوس منه واستهجانها إياه ولتحقيق الغرض يؤتى له بمشبه أقبح منه صورة كقول السر ي الرفاء يصف بيته:

لي منزل كوجار الكلب أنزله ضنك تقارب قطراه فقد ضاقا

أراه قالب جسمي حين أدخله فما أمد به رجلا ولا ساقا

فالشاعر يشبه بيته الضيق الذي لا يكاد يسع جسمه بوجار الكلب أو بيته (وجار: جحرًا للحيوانات المفترسة).

5. بلاغة التشبيه

قال أبو هلال العسكري في الصناعتين: "التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيد ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن أحد عنه". وتنجم بلاغة التشبيه من التقريب بين المتباعدين إذ كلما كان التباعد بين طرفي التشبيه بعيدا عن التصور كان عمل الخيال أكثر فتأتي صورته أعجب، أي يستمد التشبيه روعته في البعد في ذلك الانتقال وقلة خطوره على البال وبمدى امتزاجه بالخيال، وقلما تطرب النفس من تشبيه المحسوسات بعضها ببعض كقول ابن المعتز:

وكأن الشمس المنيرة دينار جلته حدائد الضرائب

ذلك أ ن تشبيه الشمس بالدينار لا يثير تعجب المتلقي من كيفية الوصول إليه؛ غير أننا إذا نظرنا إلى تشبيه أبي العلاء المعري في قوله:

إن الشبيبة نار إن أردت بها أمرا فبادره إن الدهر مطفيها

فإنه يحدث في النفس طربا واعجابا شديدين بحيث نكبر توصله إلى تشبيه فترة الشباب في ع زمها ونشاطها لكن المقيدة بزمن وجيز بالنار التي مهما عظمت فإنها لا تلبث أن تخمد جذوتها؛ الأمر الذي يتطل ب من الشاب المسارعة في تحصيل المطلوب وعدم التراخي لبلوغ المقاصد.

ولذلك فأقل التشبيهات بلاغة هو ما ذكرت فيه أركانه كلها، لوضوح المشابهة وخلوها من الخيال، وأقوى أضرب التشبيه بلاغة هو التشبيه البليغ، لأنه مبني على ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به.